



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : فجوات التطبيق

عنوان الموضوع : السلام البيئي .. رؤية متطورة لمواجهة صراعات الموارد"

تاريخ النشر : 15/03/2021

اسم الكاتب : مجموعة مؤلفين

الموضوع :

عرض: سارة عبد العزيز – باحثة في العلوم السياسية أسهمت الحروب العالمية التي شهدها العالم خلال القرن العشرين عن تدشين العديد من المجالات البحثية التي اهتمت بدراسات الحرب والسلام. إلا أنه مع انتهاء الحرب الباردة، تركز الاهتمام على الحروب الأهلية وعمليات إعادة بناء السلام والأمن الإنساني، وذلك في ظل التركيز على الإجابة عن تساؤل بالغ الأهمية حول ما إذا كانت ندرة الموارد الطبيعية المتجددة تنتسب في زيادة مخاطر انطلاق الصراعات. وقد تجدد النقاش مرة أخرى في النصف الأول من القرن الحالي، مع تخصيص مجلس الأمن إحدى جلساته للنقاش بشأن تغير المناخ والأمن، إلى جانب منح جائزة نوبل للسلام للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في عام 2007، وانطلاقاً من أن المجال البيئي أضحى يمثل قضية أساسية في السياسة الدولية، بل إنه أصبح مصدرًا لاجتذاب الصراع الدولي؛ فإن بناء السلام البيئي اكتسب المزيد من الزخم خلال السنوات الأخيرة باعتباره مجال سريع النمو للبحث والممارسة، تتقاطع من خلاله عدة حقول معرفية أساسية تتعلق بالبيئة والصراع والسلام والأمن. وبناءً عليه، يتناول المقال الحالي استعراض الفرص البيئية لبناء السلام واستدامته، بدايةً من خلال طرح التعريفات المختلفة لمفهوم السلام البيئي، والافتراضات النظرية والخلفية الفكرية لطرح المفهوم، هذا بالإضافة إلى مناقشة النتائج الأساسية للجيلين الأولين من أبحاث بناء السلام البيئي. وأخيراً، محاولة تحديد الفجوات المعرفية التي يجب معالجتها في الجيل التالي من الأبحاث. التعريفات والافتراضات: ظهر بناء السلام البيئي كمجال بحثي متخصص ومستقل بذاته في بداية القرن الحادي والعشرين، ويرجع ذلك جزئياً كرد فعل على التركيز الضيق لأدبيات الأمن البيئي على العلاقة بين ندرة الموارد الطبيعية والصراعات، وذلك خلال فترة التسعينيات. ونتيجة لتنوع التخصصات التي تشكل مجال بناء السلام البيئي وتنوع الجهات الفاعلة المعنية بهذا المجال البحثي؛ فقد تعددت التعريفات المستخدمة لتفسيره، كما ظهر تحت تسميات مختلفة مثل: صنع السلام البيئي، والدبلوماسية البيئية، ودبلوماسية العلوم، وبيئة السلام. وحقيقة الأمر فإن تعدد تلك التسميات قد زاد من تعقيد مفهوم بناء السلام البيئي. ومن بين التعريفات المطروحة للمفهوم، يمكن الاعتماد على ذلك التعريف بأن بناء السلام البيئي يشمل كافة الاقتراحات والمدخلات المختلفة التي يتم من خلالها دمج إدارة القضايا البيئية، بما يدعم منع الصراعات، والتخفيف من حدتها، وحلها والتعافي منها. ويُعد هذا التعريف هو الأكثر شمولاً، حيث إنه يغطي كلا الساحتين الدولية والمحلية، وكذلك الدرجات المختلفة من الصراعات، سواء كانت كاملة أو نشطة. وقد أوضح المقال أن بناء السلام البيئي يشتمل في مضمونه على ثلاثة أبعاد: ١- الأمن: حيث إن بناء السلام البيئي بما يعنيه من الإدارة الشاملة والمستدامة للموارد الطبيعية يمكن أن يسهم في تجنب النزاعات حول هذه الموارد أو ما يرتبط بها، ومن ثم فهو يقدم عنصر الأمن والحماية، في ظل أن الاستغلال البيئي مع القليل من الاهتمام بالمجتمعات المحيطة يقوض الأمن البشري بشكل عام، ويمكن أن يؤدي إلى احتجاجات ومقاومة عنيفة. ٢- سبل العيش والاقتصاد: فقد حدد العلماء اندعام الأمن المعيشي وضعف الأداء الاقتصادي كمؤشرات رئيسية للصراع العنيف وقتل بناء السلام. ومن ثم، تُعد الإدارة الفعالة والمستدامة للقضايا البيئية أمراً بالغ الأهمية لتحقيق الأمن المائي والأمن الغذائي، ومن ثم تقليص المساحات المتاحة لنشأة الصراعات. فالتركيز على الحوكمة أمر حيوي لاستعادة بناء السلام في حال تم تدمير البنية التحتية البيئية أثناء الصراع العنيف. ويُعد الحد من مخاطر الكوارث أمراً حاسماً أيضاً لتحقيق الأمن المعيشي. ٣- السياسة والعلاقات الاجتماعية، حيث إن التحديات البيئية المشتركة بين الدول قد تعد مداخل مهمة للتعاون الدولي حتى لو كان النمط العدائي هو المسيطر على تلك العلاقات أو أنها تتسم بعدم الثقة. فالتحديات البيئية توفر فرصاً للتعاون لأنها تتجاوز الحدود السياسية، وقد تكون أقل حساسية من حيث التنازل من الموضوعات الأخرى ذات الطبيعة السياسية. على جانب آخر، يمكن أن يحفز التعاون البيئي على تدشين مؤسسات تُفضي إلى المزيد من التكامل وحل النزاعات. علماً بأن هذه المؤسسات المتكيفة والمرنة ستعد ضرورية لبناء القدرة على الصمود، والاستجابة للتحديات العالمية مثل تغير المناخ. كما أن التعاون الإيجابي بشأن التحديات البيئية سيعيد مقياساً في بناء الثقة والتفاهم بين الفئات الاجتماعية والقادة السياسيين. وغالباً ما يشار إلى هذه الديناميكية باسم صنع السلام البيئي. مستقبل بناء السلام البيئي: مستقبل بناء السلام البيئي يمر بعدة مراحل حتى الوصول إلى الجيل الثالث من الدراسات، والذي شمل العديد من الموضوعات والمناقشات التي ظهرت خلال العقد الماضي، والتي تعد مركزية لهذا الجيل الثالث من الدراسات ركزت الأبحاث المتخصصة (Bottom-up Approaches) والبحوث وإن كانت تواجه العديد من أوجه القصور التي تحتاج إلى معالجة، ومن أهمها: ١- النهج/الاقتراحات التصاعدية في مجال بناء السلام البيئي لفترة كبيرة على القيادة من أعلى إلى أسفل، وذلك من قبل المنظمات الدولية ومؤسسات الدولة رفيعة المستوى والمنظمات غير الحكومية. ومن أبرز الأمثلة لتحسين الوضع (UNEP) غير الحكومية لحل الصراعات حول المياه من خلال الاهتمام بالبعد الأمني، ومحاولات برنامج الأمم المتحدة للبيئة (Tearfund's) على ذلك جهود منظمة البيئي في مجتمعات ما بعد الصراعات، هذا إلى جانب مبادرات النخب داخل الدول بالتعاون مع الداعمين الدوليين لإرساء السلام. إلا أنه وبالرغم مما سبق فقد كشفت الأبحاث أنه في كثير من الأحيان- تنتج المجتمعات المحلية في إدارة الموارد الطبيعية والتخفيف من حدة الصراعات البيئية أو إدارتها على نحو أفضل من التوجه المركزي للقيادات والنخب. فقد عملت النهج التصاعدية على نحو متزايد على تمكين المجتمعات المهمشة والضعيفة التي تنفق على مقاعد على طاولات صنع القرار، وتعاني من "العنف البيئي" الناجم عن التدمير المتعمد في كثير من الأحيان لسبل معيشتها وأمنها البيئية. ونتيجة لذلك أولى الباحثون اهتماماً متزايداً بممارسات بناء السلام البيئي على المستوى المحلي من القاعدة إلى القمة، لا سيما فيما يتعلق بالقضايا التي تهم الأمن البشري الأساسي واستدامة سبل العيش. ٢- النوع الاجتماعي: يُعد النوع الاجتماعي هو أحد الموضوعات التي لم تحظ باهتمام كافٍ في أبحاث وممارسات بناء السلام البيئي، إلى أن وثق عدد كبير من الأدبيات تأثير النوع الاجتماعي سواء كان ذكراً أم أنثى على العلاقة بين الإنسان والبيئة، بما في ذلك بعض العلاقات المرتبطة بظروف ما بعد الصراعات البيئية. وقد ارتبط بتلك العلاقة مجموعة واسعة من الموضوعات التي تشمل تسليط الضوء على نقاط ضعف المرأة فيما يتعلق بالوصول إلى مورد الرزق الأساسي والتحكم في ذلك المورد أو إدارته، حيث إن البيئة ظهرت دائماً كعامل شديد التأثير في تحديد قدرة المرأة على القيام بذلك الدور. على جانب آخر، تم تكريس المزيد من الاهتمام بالنساء كعاملات، وليس فقط كضحايا، بما في ذلك دورهن في عمليات بناء السلام. وعلى الرغم من الخطوات التي تم بذلها في ذلك السياق، إلا أنه ما زالت هناك العديد من التحديات التي تقف حجر عثرة أمام الدمج الشامل للنوع الاجتماعي كقوة تحليلية في البحوث البيئية والصراعات. كذلك تشمل التحديات الكبيرة التي تواجه البحث في هذا المجال المخاوف من الخلط بين الآثار قصيرة المدى والتغيير الدائم، وإحداث المواءمة بين الإصلاح القانوني والتغيير المنفذ بالفعل، وكذلك التركيز المفرط على الطابع الرسمي المهمش للنوع الاجتماعي في كثير من الدول. على المستوى المؤسسي، بدأ برنامج الأمم المتحدة للبيئة، بالتعاون مع جهات فاعلة أخرى، في إدراج منظور جنساني في عمله وخاصة في الموضوعات التي تتضمن التقاطع بين البيئة وبناء يولي بناء السلام (Conflict- Sensitive Programming) والسلام، وهو ما يتضح من اعتماد جمعية البيئة التابعة له لقرار بشأن هذا الموضوع. ٣- البرمجة الحساسة للصراعات البيئي الاهتمام الكافي للصراعات في عمليات البرمجة الفعالة للبيئة والموارد الطبيعية؛ أي أخذ الصراعات بعين الاعتبار، وهو ما يُعد من العوامل المهمة في تجنب الصراعات ذاتها. حيث إن الفشل في الاستعداد المسبق للصراعات يمكن أن يؤدي إلى حدوث الصراعات أو تجديدها عن غير قصد. ٤- استخدام البيانات الضخمة والتكنولوجيا الرائدة: في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ظهر الاهتمام الأكاديمي بالأدوار الحالية والمحتملة للبيانات الضخمة والتقنيات الحدودية (مثل: نظم المعلومات الجغرافية، والذكاء الاصطناعي، وسلاسل الكتل) وذلك في مجال بناء السلام البيئي. حيث تم التركيز بشكل كبير على إمكانية تطوير أنظمة إنذار مبكر أكثر قوة بحيث يصبح الاندماج السريع للبيانات أسهل في تحقيقه، بما يسهل عملية تطوير نماذج أكثر موثوقية للحد من عدم اليقين في المجال البيئي. وفي هذا الصدد، تم التركيز على استخدام التقنيات المحمولة مثل الهواتف الذكية على نطاق واسع لتحقيق مجموعة واسعة من الأهداف، بدءاً من التوصيف الدقيق لظروف الأشخاص المعرضين للخطر إلى مراقبة عمليات النزوح القسري والمستوطنات العشوائية وغيرها. ومع ذلك، فإن استخدام (M&E) البيانات الضخمة في بناء السلام البيئي يواجه العديد من التحديات التي قد يكون من بينها التحديات الإدارية والتقنية. ٥- عمليات الرصد والتقييم: يُساعد الرصد والتقييم على فهم متى تحقق التدخلات أهدافها، ومتى لا تحقق ذلك ولماذا. حيث إن تطوير أدوات الرصد والتقييم سيوفر وسائل أكثر تعقيداً واتساقاً وانتشاراً لتحقيق أهداف المساءلة والتعلم، وتقديم الدروس المستفادة للمستفيدين والممولين على حد سواء. وفي حين أن هناك عدة مؤلفات حول الرصد والتقييم لبناء السلام وحماية البيئة؛ فإن الأدبيات المتعلقة بالرصد والتقييم لبناء السلام البيئي لا تزال محدودة. قد تُظهر الدراسات الكمية ارتباطات واسعة، ولكنها غير قادرة على تقييم تدخلات سياسية محددة. تتعدّد عملية الرصد والتقييم لبناء السلام البيئي بسبب خمسة تحديات رئيسية: ١- طول الفترة الزمنية التي يجب أن تتفحص قبل أن تصبح تأثيرات عمليات التدخل واضحة. ٢- تعدد الجهات الفاعلة، مما يعقد عملية جمع البيانات وإسنادها. ٣- السياق الديناميكي وغير الأمن في كثير من الأحيان للقيام بتلك العمليات، والذي يتسم بالخلاف السياسي والعنف. ٤- حالات نقص أدوات التدخل والسيطرة. ٥- المضاعفات التي تنشأ من الجمع بين مختلف الأهداف والمقاييس المستخدمة، على التوالي، للتدخلات البيئية وبناء السلام. وختاماً، يمكن القول إن التقدم في مجال بناء السلام البيئي يحتاج إلى معالجة الفجوات النظرية والتطبيقية الهامة لتعزيز الجيل الثالث من أبحاث بناء السلام البيئي. وفي ظل سياق عالمي من التغيير البيئي السريع والأعداد الكبيرة من الصراعات العنيفة والاستثنائية حول العالم؛ فإن مثل هذه الأبحاث تكتسب أهمية كبيرة. وقد لا يخفى على الجميع أن جائحة (كوفيد-19) قد أثرت بشكل كبير على برامج بناء السلام البيئي في جميع الحكومات والمنظمات والمجتمعات. حيث نشأ الصراع بين مبادرات بناء السلام البيئي والإجراءات الخاصة بالنظافة والتدابير الصحية، حيث أدى تدمير البنى التحتية للمياه والصرف الصحي على مدى العقود الماضية إلى تعقيد محاولات التصدي لجائحة (كوفيد-19) في الدول التي مزقتها الحروب مثل اليمن. المصدر Conca, Geoffrey D Dabelko, Richard Matthew, Erika Weinthal, "The past and future(s) of environmental peacebuilding", International Affairs, Vol. (97), no. (1), (January 2021), PP. 1–16.